106447 ـ اهتدى حديثاً ويسخر منه أهله وأصدقاؤه ، فكيف يتصرف ؟

السؤال

لقد كنت من المسرفين في الذنوب والمعاصي ، وكان أهون شيء عندي فعل المعصية ، كنت من المتعاطين للمخدرات (الحشيش ، الحبوب الكبتاجون ، الخمر) كنت ممن يزنون ، من الله عليَّ فتزوجت ، وقبل الزواج تبت من معصية الزنا ، ولله الحمد ، بقي معي تعاطي المخدرات ، وكان سببها الصحبة الفاسدة ، وفي يوم من الأيام توفي لي ابن عم يقربني سنّاً ، ولكن لم يتزوج ، ففكرت في حالي وأنه أصغر مني قد توفي ، وكنا في نفس المعصية تعاطي المخدرات ، فمنَّ الله عليَّ بالهداية ، وتركت كل شيء ، حتى الدش ـ يا شيخ ـ كسرته ، وتغيرت حياتي 180 درجة ، أصبحت : أتصدق ، أصلي ، أدعو للخير ، أوزع أشرطة ، كتيبات ، مطويات ، أحضر محاضرات ، آمر بالمعروف ، وأنهى عن المنكر . المشكلة : واجهت كثيراً من الانتقادات ، أولها من الأهل ـ الوالدة والأخوات ـ بأنني متشدد ، متزمت ، يريدون أن يسمعوا الأغاني ، وينظروا إلى المسلسلات ، وإذا نصحتهم وقلت لهم هذه حرام ما يجوز يردون علي : " لماذا شرع الاستغفار ؟ إذا لا تريد تسمع أغاني وتتفرج على التلفزيون اطلع نحن نريد نتفرج ونسمع " ، ونفس المشكلة تحصل معي في العمل ، طلعت مرة ، ومرتين ، زوجتي تقعد معهم ، وإذا خرجت أخذتها معي ، ويطلبون مني أني أخليها تجلس معهم ، وأنا أرفض ، وزوجتي تستحي من الأهل ، وتخاف يصير مشاكل ، وإذا تركتها تجلس معهم تقوم تجلس بعيده عن التلفزيون تجلس لحالها وأحيانا أسمع دعوة من الوالدة تقول : " ليت الله ما هداك ، آذيتنا !" أعوذ بالله مشكلتي في العمل / أنا أعمل في القطاع العسكري ، أصحابي كلهم من الصحبة السيئة ، الملتزمون 3 فقط ، الملتحون 6 ، ممن يتغاضون عن أشياء كثيرة ، وأن هذا ليس من الدين في شيء ، والبقية منهم يشرب الحشيش ويستخدم المخدرات ، ومن يغازل النساء ، طبعاً الغالبية مدخنون . يا شيخ اتفقوا على الإساءة إليّ ، فلا أدخل في مجلس إلا يذكروني بالماضي ، ويستهزئون بالملتحين ، ويسبونهم ، وينعتونهم بـ " الكذابين " و " الإرهابيين " ، وأنا تصيبني الغيرة ، وأقول لهم : أنتم تسبون إخوانكم ، يعني : مسلمين ، ما يجوز ، حرام تستهزئون باللحية لأنها سنة . يا شيخ أساؤوا لسمعتي ، في أغلب المجالس يكثر الانتقادات على الملتحين ، ولا يذكرونهم بخير . يا شيخ أحس أني أجرمت في حق إخواني الملتزمين ، هل معنى هذا أن التزامي بالشريعة وإطلاق اللحية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الزمان : أصبح جريمة لا بد أدفع ثمنها ، أو أصير منحرفا مثلهم ؟ يا شيخ حتى مديري يقول : أنتم الملتحون حاطكم تحت المجهر ، والله أي غلطة ما أغفرها لكم . عملت بعض الحلول : أولاً : قدمت نقل من نفس الإدارة لإدارة أخرى ، ولكنها ستطول قليلاً . ثانياً : كل من أساء الأدب بقول أو فعل قطعت علاقتي معه نهائيّاً ، وهذا حد من المشكلة كثيراً جدّاً ، ولكنه لا يعجبني ؛ فقد أصبح الناس تحذر من التعامل معي والخوف من أن يغلطوا عليَّ ، فأصبحوا ينفرون منّي ، وينفِّرون الناس . أرجو من فضيلتكم أن تجدوا لي الحل المناسب ؛ لأني والله تعبت نفسيّاً .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

هنيئا لك هذه التوبة ، يا عبد الله ، وهنيئا لك رجوعك إلى ربك ، وحمدا لله على سلامتك من طريق الضلال والغواية ، ورجوعك إلى طريق الإنابة والهداية ، زادك الله هدى ، وبرا وتقى ، وثبتك على صراطه المستقيم ، إلى أن تلقاه على خير ما يحب ويرضى !!

واعلم أخي الفاضل أن الشيطان لن يستسلم بعد توبتك بسهولة ، ولن يدعك لحال سبيلك ؛ لأنك كنت من جنوده ، وخرجت من غير إذنه ولا رضاه ! فصرت من جنود الرحمن ، وكنت في عصابة أوليائه ، وانتقلت إلى طائفة أعدائه ، فمنَّ الله عليك بالهداية ، وغظتَه وكبتَّه ، فمن المنطقي أن يحاول ـ بكل الوسائل ـ أن يعود بك إلى سابق عهدك ، فعليك بالمثابرة ، والثبات ، والصحبة الخيرة الصالحة التي تعينك على الحق .

ونسأل الله أن يتقبل منك غيرتك على الدين ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر ، وحب هداية الناس .

ثانياً:

اعلم أخي الفاضل أنه ينبغي النظر إلى قضيتك باعتبارين :

الأول : كونك تائباً مهتدياً .

والثاني : كونك داعياً إلى الله .

1. أما الاعتبار الأول :

فالوصية لك فيه : الصبر على الأذى ، والتحمل للسفاهة ، مع جواز استعمال الشدَّة إذا لزم الأمر ، وذلك إذا تعلَّق الاستهزاء بالدين ، وقدرت على منعه وإيقافه .

والشيطان له جنود يرسلهم للكيد والمكر وصد الناس عن الدين ، وهؤلاء الجنود ليسوا من الجن كلهم ، بل له جنود كذلك من الإنس ، وهم الذين يقومون بمهامه في صرف الناس عن الطاعة ، ودفعهم لفعل المعاصي ، قال تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) الأنعام/ 112 .

وقد طمأنك ربك تعالى ، وبشرك بالثواب الجزيل يوم القيامة إن صبرت على أذى هؤلاء السفهاء في الدنيا ، وذلك بالرفعة في الدرجات يوم القيامة ، وقد توعدهم ربنا تعالى بالعقوبة البالغة إن هم ماتوا على سفهاتهم واستهزائهم بالمؤمنين .

قال تعالى : (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) البقرة/ 212 .

وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ . وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ . وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ . فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) المطففين/ 29 – 36 .

قال ابن كثير – رحمه الله ـ :

يُخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين ، أي : يستهزئون بهم ويحتقرونهم ، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم ، أي : محتقرين لهم .

(وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) أي : إذا انقلب ، أي : رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم ، انقلبوا إليها فاكهين ، أي : مهما طلبوا وجدوا ، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم ، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم .

(وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّون) أي : لكونهم على غير دينهم .

قال الله تعالى : (وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِين) أي : وما بُعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر من أعمالهم وأقوالهم ، ولا كلفوا بهم ، فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالى : (قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ . إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ . إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) المؤمنون/ 108 – 111 .

ولهذا قال هاهنا : (فَالْيَوْمَ) يعني : يوم القيامة .

(الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) أي : في مقابلة ما ضحك بهم أولئك .

(عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) أي : إلى الله عز وجل ، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ، ليسوا بضالين ، بل هم من أولياء الله المقربين ، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته .

وقوله : (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ؟ أي : هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقص أم لا ؟ يعني : قد جوزوا أوفر الجزاء ، وأتمه ، وأكمله .

" تفسير ابن كثير " (8 / 353 ، 354) .

فاصبر أخي الفاضل واحتسب الأجر على سفاهة هؤلاء ، وداوم على تذكيرهم بحكم فعلهم ، وأنهم إن تعرضوا للدين باستهزاء وسخرية فقد خرجوا من ملة الإسلام ، ولحقوا بإخوانهم من الكفار والمجرمين ، الذين سبق ذكر حالهم في الآيات السابقة .

2. وأما الاعتبار الثاني :

فالوصية فيه أن تسلك الطرق المناسبة لعلاج هؤلاء المرضى ، فأنت بهذه الاعتبار لست رجلاً عرف الطريق فسلكه ، بل أنت الآن داعية إلى الله ، تريد أن تعبر بهؤلاء بحر الظلمات ليصلوا إلى بر الأمان والسلامة ، فالوصية لك أن تزيد من العلم الشرعي ، والطاعات التي تقربك لخالقك عز وجل ، وأن تكون حكيماً في تبليغ رسالة رب العالمين لهؤلاء المرضى ، والحكمة هي وضع الشيء في مكانه المناسب ، فالأصل في التعامل معهم الرفق واللين ، ولا مانع من استعمال الشدة مع بعضهم إن رأيت أن ذلك يردعه .

قال الله تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) آل عمران/ 159 .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله ـ :

فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين تجذب الناس إلى دين الله ، وترغبهم فيه ، مع ما لصاحبه من المدح ، والثواب الخاص

، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين ، وتبغضهم إليه ، مع ما لصاحبها من الذم ، والعقاب الخاص ، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول ، فكيف بغيره ؟! .

أليس من أوجب الواجبات ، وأهم المهمات ، الاقتداء بأخلاقه الكريمة ، ومعاملة الناس بما يعاملهم به صلى الله عليه وسلم ، من اللين ، وحسن الخلق ، والتأليف ، امتثالاً لأمر الله ، وجذباً لعباد الله ، لدين الله .

ثم أَمَرَه الله تعالى بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه صلى الله عليه وسلم ، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله ، فيجمع بين العفو والإحسان .

" تفسير السعدي " (ص 154) . وانظر : " تفسير الطبري " (7 / 341) .

وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : السَّامُ عَلَيْكُمْ ! قَالَتْ عَائِشَةُ : فَفَهِمْتُهَا ، فَقُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ ، قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ قُلْتُ : وَعَلَيْكُمْ .

رواه البخاري (5678) ومسلم (2165) .

قال النووي – رحمه الله ـ :

هذا مِن عظيم خلُقه صلى الله عليه وسلم ، وكمال حلمه ، وفيه : حث على الرفق ، والصبر ، والحلم ، وملاطفة الناس ، ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة .

" شرح النووي على مسلم " (14 / 145) .

وقال الشوكاني – رحمه الله ـ :

في الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين ، إذا لم يترتب عليهم مفسدة .

" نيل الأوطار " (8 / 146) .

ثالثاً:

وبخصوص أهلك :

عليك أن تصبر على أذاهم ، وتداوم النصح والتذكير ، ولا تيأس من ذلك ، واحرص أشد الحرص على هدايتهم ، ونوِّع في الأساليب ، وتلطف معهم ، ولا ترخ الحبل لزوجتك إذا كان في جلوسها مع أهلك معاصٍ أو منكرات ، إلا أن تكون تستطيع تغييرها ، ولا ينبغي أن يدفعها خجلها منهم إلى أن تُغضب ربها بسماع أو مشاهدة المحرَّمات ، كما أن عليها مسئولية كبيرة في الوقوف مع زوجها ، ونصرته ، وتثبيته على الهداية والطاعة .

ونأسف لقول والدتك تلك المقولة الشنيعة ، ولا ندري كيف قالتها ولعلها لا تعلم ما فعله بعض أصحاب المخدرات مع أمهاتهم وأخواتهم ! ولا تدري ما فعلوه في إفساد الأسر ، والمجتمعات ، ولا تدري كم تبذل الأسر من مال ووقت وجهد حتى يصلح الله ولداً من أولادها يتعاطى المخدرات والمسكرات ؛ لما رأوه من الأذى والضرر والشر منه .

وبخصوص عملك :

فإن رأينا أنك أحسنت في طلبك النقل إلى مكان آخر خير منه ، وخاصة أنك في أول طريق الهداية والتوبة ، وتحتاج لصحبة صالحة تدلك على الخير ، وتحثك على فعله ، وتحذرك من الشر ، وتحثك على تركه .

ونعيد أن الأصل في التعامل هو الرفق واللين مع أهلك ، وزملاء العمل ، وغيرهم ، ولا مانع من المخاشنة والشدة مع من يستحقها ، إن رأيت في ذلك مصلحة لكف لسانه عن الدين والاستهزاء به .

والله أعلم